

النفس هو نبع الحياة. إنه ظاهرة طبيعية تحيي الإنسان و تصدر عنه بشكل غريزي. فبفضل التنفس يستطيع الإنسان أن يترجم انطباعاته وانفعالاته إلى كلمات... ومن خلال النشيد، وهو القوة التعبيرية القصوى، يتوصل الكائن الإنساني لأن يلامس أرواح الآخرين ولأن يعقد علاقة متسامية مع الإلهي.

المدائح، وهي حاضرة دائماً في عبادات الآلهة المتعددة كما في الديانات التوحيدية، إنما تنقل عبر نعمة النشيد هذه النفحة التي ظلت على امتداد الأجيال تُسَمُّ الانتماء إلى مجموعة لها مصير مشترك.

في "سفر التكوين"، تقوم "النفحة الإلهية" بتحويل جسد الإنسان الساكن إلى كائن حي يمتلك عقلاً وهي التي توحى للأنبياء وللرسل بالفكر الذي عليهم أن يبشروا به من خلال قيامهم بإنجازات خارقة. أما العهد الجديد، فكان من خلال اعترافه بالثالوث المقدس يعطي للروح القدس (والكلمة التي تعبر عنه بالإغريقية القديمة، وهي *pneuma* تترجم حرفياً بالنفحة) صفة تشخيصية: فهو يبث نفحته حيث يريد. وقد كانت الـ *pneuma* نفسها أو النفحة الأصلية مبدأ العالم بالنسبة للرواقيين أيضاً. وهكذا فإن الأب والإبن والنفحة التي تحيي كانت ترمز إلى الحضور متعدد الأشكال لما هو إلهي.

في نشيد الأنشاد، كان النفس والقبلة والحب كلاً لا يتجزأ. ومن خلالهم تنعقد علاقة التوحد بالكائن المحبوب كما يتجلى الاتحاد الروحاني.

في التقاليد القرآنية، أُعطي دور هام "للرياح المُخصبة" التي ترمي إلى شحن الغيوم بالمطر التي تروي الإنسان والطبيعة وتنشر البذور.

تحتفي الفرق الصوفية بالخلق الإلهي إذ تعترف بأن كل الكائنات والأشياء والأحداث ليست سوى تجليات النفحة التي تحيي.

في الأساطير اليونانية والرومانية، عديدة هي الآلهة التي تذكر بالقدرة المرعبة للهواء. وبعض مقاطع الأوديسة والإنياذة تشير إلى تلك القدرات وإلى طابعها المدمر. وفي النهاية نذكر زفير، الذي كان يبث الحياة في الطبيعة بنفحاته القوية والناعمة في آن معاً.

الأساطير والديانات والصوفيون يعطون دوراً شديداً الأهمية لآلات النفخ التي ترمز إلى القوى التي لا يمكن كبح جماحها: وقد قام الإله بان Pan بشكله الأرضي بصنع مزمار تكريماً للحرورية سيرانكس، كما أن أبواق أريحا كانت بمثابة إيدان بيوم القيامة، وكذلك الناي، ذلك المزمار العتيق الذي تتناقله الأجيال، والذي يرتبط بالنفحة الصوفية لدى الدراويش والصوفيين. كلهم، دون استثناء، يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بالقوى الروحانية.

هذه الدورة الحادية والعشرين "للأنشيد القدسية في البحر المتوسط" تحتفي من جديد بالتعابير الصوتية والموسيقية المختلفة التي تأتينا من العالم المتوسطي. وفيما يتجاوز أهمية اكتشاف ألحان جديدة وذخائر موسيقية لم تُعرف من قبل، فإن الفنانين المدعوين سيقدمون لنا تصورهم الخاص عن "نفحة الحياة..."